علم النحو العرفاني نظرية دلالية شاملة

Cognitive grammar science a comprehensive semantic theory

الدكتور: فريدة لعبيدي

قسم اللغة والأدب العربي -جامعة الطارف (الجزائر)

dr.labidi36@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2022/08/15 تاريخ القبول: 2023/03/13 تاريخ النشر: 2023/03/15

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى البحث في نظرية النحو العرفاني، كونها صورة للمقاربات اللسانية العرفانية، في صرح معجمي، تركيبي، دلالي كبنيات لغوية ذهنية، لقد تحرر النحو بفضل العلم المعرفي من قيود النمطية والقولبة والتقعيد الجاهز عند منتج الكلام في حسن صياغته للجمل والعبارات والتراكيب ليصبح قاعدة بيانات ذهنية من الأبنية الاصطلاحية الميسرة لتصنيف الدلالات في الملكة اللغوية، ظهرت نظرية النحو العرفاني على يد "رونالد لانقاكر" كردة فعل على النظريات اللسانية المتوغلة إما في البنية اللغوية أو المعايير النصية أو المقاصد مؤكدة على كون اللغة مكونا لغويا متماسك الأبنية لا فضل لمكون على آخر فهي نظرية دلالية شاملة.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات العرفانية؛ نظرية النحو العرفاني؛ الدلالة؛ المعجم؛ التركيب؛ البنية اللغوية؛ العمليات والتصورات الذهنية.

Abstract:

This study seeks to research the theory of Cognitive grammar science, as it is a picture of the cognition linguistic approaches, in a lexical, syntactic, semantic edifice as mental linguistic structures. The grammar has been liberated, thanks to cognitive science, from the restrictions of stereotyping and verbalization and the ready-made complexity of the speech producer in his good formulation of sentences, phrases and structures, to become a mental database of idiomatic structures that facilitate the classification of semantics in the linguistic wealth. The theory of cognitive grammar emerged by “Ronald Langacker” as a reaction to linguistic theories that penetrate either into the linguistic structure, textual standards or purposes, emphasizing that language is a coherent linguistic component of structures, not the preference of one component over another, as it is a comprehensive semantic theor.

key words: cognitive linguistics; cognitive grammar theory; semantics; lexicon; structure; linguistic structure; mental processes and perceptions .

مقدمة:

ترجع الارهاصات الأولى لبلورة النحو العرفاني" عند "لانقاكر" إلى منتصف السبعينات من القرن الماضي، وقد عرفت هذه الفترة ازدهارا كبيرا في الأبحاث اللسانية تميزت بالشمول والامتداد والجدية والجودة في الأبحاث اللغوية لكل للغات من حيث التحليل وعمق الدراسة خاصة بعد فشل النظريات والضيق في تناول الظاهرة اللغوية عامة، مما يؤدي إلى الانغلاق على ذاتها: " ولذلك غاب الإطار النظري القادر على صهر المعرفة المتزايدة في مظهريها النوعي ومن حيث الإلمام باللغات الطبيعية والتحليلي من حيث الإلمام بخصائص البنية اللغوية وفي هذا الإطار ظهرت بوادر النحو العرفاني، كما تبلور في أعمال "لانقاكر"، وقد كان بداياته يفكر في تسمية نظريته بنحو الفضاء."[1]

ولعل أبرز ما يقترحه "لانقاكر" من أسس تعارض المعهود في النظرية اللسانية يتمثل بإيجاز فيما يلي:[2]

يعتمد "لانقاكر" مفهوم التصوير في تحليل المعنى في حين يعتمد جمهور اللسانيين في ذلك جهازا مشتقا من المنطق الصوري.

1. لا يقبل "لانقاكر" الانفصال بين الإعراب والدلالة خلافا لسائر النظريات التي تتصور الإعراب مكونا شكليا قائما بذاته.

2. عند "لانقاكر" من المفروض أن تكون النظرية اللسانية وصفا متكاملا يجمع بين مختلف المظاهر في البنية اللغوية خلافا للمتداول.

3. عند "لانقاكر" اللغة ليست نظاما مكتفيا بذاته ولا تقبل الوصف بمعزل عن العمليات العرفانية، ولا يمكن تفسير السلوك اللغوي دون اعتبار آليات المعالجة العرفانية، فاللغة جزء لا ينفصل عن العرفنة البشرية.

4. لا يمكن الفصل بين الملكة اللغوية وسائر المظاهر (كالمظاهر النفسية) في المعالجة العرفانية لذا يرى "لانقاكر" أن السعي إلى التأليف بين نتائج البحث اللساني ونتائج علم النفس أولى من السعي إلى الفصل بينهما، ويرى أنه فصل ناتج عما غلب على الدرس اللساني من اصطناع وافتعال سلبا الموضوع والنظرية طبيعتهما.

وسوف نقف على ماهية نظرية النحو العرفاني عند "لانقاكر" فيما يلي حتى نتمكن من صبر آرائه فيها ولتوضيح أهم مبادئها وأصولها وما هي الاستفادات التي استفاد منها "لانقاكر" من النظريات اللسانية العرفانية المختلفة.

1-نظرية النحو العرفاني عند "لانقاكر":

تعد نظرية النحو العرفاني حسب آراء المختصين امتدادا عرفانيا لما عرف باللسانيات العرفانية، وهي تحاول تأسيس طرحا حاصرا لتفسير الدلالة وكيفية حدوثها وقد اشتهر بها "رونالد لانقاكر" ronald langaker" و"النحو العرفاني هو نظرية حول الكيفية التي تحلل بها العبارات اللغوية بواسطة العلاقات الرمزية (...) واعتبر "لانقاكر" أن اللغة رمزية بطبعها "[3]، "والنحو العرفاني نظرية دلالية شاملة تظم التركيب والمعجم والدلالة وتعتبر اللغة نظاما رمزيا قائما على تشكلات الأبنية الرمزية من المعجم والتركيب والتصريف والدلالة."[4]

يمكن حصر كل مقتضيات النحو العرفاني فيما يلي:[5]

- إنه يدافع عن ضرورة الجمع بين الدلالة والتركيب.
- يطمح إلى تقديم نظرية موحدة شاملة لمختلف جوانب البنية اللغوية.
- يحاول النحو العرفاني أن يقترح فكرة التخلي وإن مؤقتا على موضة الشكلنة وموضة الحاسوب والإعلامية التي يريد أصحابها وضع آلات يحاكي ذكاء الإنسان ومختلف قدراته الذهنية وخاصة قدرته على فهم العبارات والجمل المناسبة للمقام والمقال وعلى إنتاجها.

إن نظرية النحو العرفاني هي نظرية لسانية ترفض مركزية التركيب على الأبنية اللغوية أو ذلك الاعتبار الرئيسي للتركيب الإعرابي على الأبنية اللغوية الأخرى من الدلالة والمعجم والصرف والأصوات وهوكما يقول "بن غربية " في هذا الصدد: " اتجاه لساني نفسي يقول على اعتبار النحو مجموعة من العمليات الذهنية التصورية المعالجة للمعلومات، وهو اتجاه قام أساسا على مخالفته لاتجاه عرفاني أول؛ مثله النحو التوليدي في صيغته الشمسكية الأولى المتصلة شديدة الاتصال بالتصورات الفيزيائية القريبة من مفهوم الذكاء الاصطناعي."[6]

وترنو هذه النظرية للبحث على المعنى لا من خلال مستوى واحد بل من خلال ثلاث مستويات:

-المستوى النحوي.

-المستوى المعجمي.

-المستوى التركيبي الدلالي.

"فإن المعنى بناء ديناميكي هو حاصل تعامل المستويات النحوية والمعجمية والتركيبية وما (النواة الصلبة) في نظام اللغة إلا المكون الدلالي، فغاية اللغة في الاستعمال تشييد أبنية دلالية مركبة من عبارة عن (تمثيلات ذهنية بمصطلح "تالمي" و(أبنية مفهومية) بمصطلح "لانقاكر" و(فضاءات ذهنية) عند "فوكونياي"[7] إذن يدعو النحو العرفاني وعلى رأسه "رونالد لانقاكر" إلى محاولة توفير تفسير القضايا الأساسية، تفسير يعتمد على الذهن وعلى العمليات العرفانية التي

يقوم المتكلم بإنجازها لإنشاء جملة أو خطاب والعمليات التي يلجأ إليها السامع لتأويل ذلك الخطاب وفك ألغازه.[8]

لذلك فمشروع "لانقاكر" في نحو العرفاني* مشروع يعتبر بديل للنظريات اللغوية السائدة على الأقل منذ الخمسينات والتي أسندت على حساب المعنى والدلالة، هذه النظرات حتى في الحالات التي اعترف فيها أصحابها بأهمية المعنى، فإنها لم تخصص للمعنى إلا منزلة ثانوية وظل أصحابها يؤمنون بأن الدور المركزي إنما هو الدور الذي يقوم به التركيب[9]، فلم يتخلص النحو مما كان عليه من مركزية التركيب على حساب المعنى "فتحليل الوحدات النحوية دون اعتبار الدلالة هوبمثابة وضع قاموس دون إثبات معاني الكلمات، والتحليل الدلالي الشكلي القائم على شروط الصدق غير مفيد ولا مناسب لوصف المعنى في العبارات اللغوية."[10]

مع ظهور المقاربات العرفانية لم يعد مركز اهتمامنا اللغوي كائنا في تصورنا للنحو وإنما تحول إلى العمليات التصورية الذهنية المؤسسة لمختلف التراكيب النحوية.

"فإن كل تلك العمليات الذهنية المنتظمة في الدماغ تمثل إطار منظما لكل العمليات اللسانية وهنا يتبين التقارب بين عمليات التركيب الذهني للغة وعمليات المقاربة اللسانية للغة، فإن اللغة تتمثل في عمليات ذهنية منظمة سابقة للعمليات اللسانية."[11]

حسب النحو العرفاني اللغة الطبيعية هي نظام من القواعد المعيارية الذهنية المخزونة في ذاكرة كل فرد متكلم خاضعة لمعيار من معايير الصرف الاجتماعي الذي يشكل الفرد جزءا منه وأعني بالعرف الاجتماعي اللغوي لا عرف عامة الناس من التجار والنجارين والفلاحين غيرهم بل إلى عرف الجماعة اللغوية، ويختلف كل الاختلاف عن النظام الذي يميز اللغات الاصطناعية والذي يقدم على مجموعة من المبادئ والمقومات الرياضية المنطقية ويرفض النحو العرفاني كذلك المبادئ التي تعتبر أن دراسة معاني الوحدات والأبنية اللغوية التي تكون إلا بربطها بالعالم الخارجي الذي يعيش فيه المتكلم والسامع[12]، ويؤمن أصحابه بأن "المعاني اللغوية ينبغي أن تدرس باعتبارها قائمة على مجموعة من العمليات الذهنية التصورية لا باعتبارها قائمة على موافقة أوم خالفة لحقيقة أو لمجموعة من الحقائق القائمة في العالم الخارجي"[13]، وهو ما كان سائدا قبل تطور النظرة العلمية الدراسية للنحو في اللغات الطبيعية بصفة عامة واعادة بؤرة الاهتمام إلى المعنى وكيفية بنائه حسب العمليات الذهنية التي يعتمدها منتج الكلام "فمن أهمية معرفة أن اللغة إذا كانت تسهم في المعرفة /الإدراك فذلك لا يضمن في الحقيقة ما يجعل اللسانيات علما معرفيا وأنها تعتبر من العلوم المعرفية، لأن الغموض يبقى محيطا بالعلاقة الرابطة بين العلوم المعرفية جميعها."[14]

ونصل الآن إلى أهم الاعتبارات والمسلمات التي يرفضها النحو العرفاني والتي تبرز في الآن ذاته موقفه من النظريات اللسانية السابقة:[15]

يرفض النحو العرفاني التصور الذي فصل بمقتضاه عدد من اللغويين بين مختلف المستويات التي تساهم في بناء المعنى وتشكيله الفصل بين بنية مستوى الكلمة ومستوى بنية الجملة ومستوى المعجم ومستوى الدلالة، إضافة إلى الفصل بين مختلف هذه المستويات وبين المعارف التي بحوزة المتكلم والمخاطب سواء منها ما كان له علاقة بمعتقداته وثقافته أو بكل ما يعرفه عن العالم الخارجي الذي يعيش فيه.

1) يرفض النحو العرفاني المبادئ التي تعتبر أن دراسة معاني الوحدات والأبنية اللغوية لا تكون إلا بربطها بالعالم الخارجي الذي يعيش فيه المتكلم والسامع.

2) يرفض النحو العرفاني منطلق النظريات اللسانية من كون التركيب مكون مركزي والتركيز على الوصف البنيوي للجملة دون أي اعتبار للمعنى كالنظريات الشكلانية والنظريات النحوية الجديدة.

3) لا يعدو المكون الفونولوجي والمكون الدلالي في مثل هذه النظريات إلا أن يكون مكونين تأويليين يترجم أولهما الوصف البنيوي إلى سلسلة من العلاقات الصوتية بينما يسند ثانيهما مضمونا أو معنى إلى ذلك الوصف وهذا ما رفضه النحو العرفاني.

4) يرفض النحو العرفاني أيضا ما جاءت به نظرية "richard moutague" المعروفة بالنحو المفهومي التي مفادها أن المعنى يتمثل في العلاقات الكائنة بين العبارات اللغوية والعالم الخارجي.

إذا هذه هي أهم الآراء اللسانية المرفوضة في النحو العرفاني والذي يؤكد في مضمونه أو مذهبه أن الصرف والتركيب والدلالة والمعجم ليست إلا مظاهر أو جوانب متصلة ببعضها البعض تخدم كلها نفس الغاية وتساهم في صياغة المعنى وتشكيله وهي متلاحمة ومتآزرة لأنها تمثل مستويات يصعب ضبط الحدود الفاصلة بينها وتحديد مدى مساهمة كل منها في تكوين المعنى.

2-النحو والمعجم:

لا يختلف المهتمون بالمجال اللغوي في كون المعجم والنحو يشكلان تعاقبا منطقيا واسترسالا طبيعيا من الوحدات الرمزية، والنحو تماما مثل المعجم يوفر ما به يكون تنضيد المضامين المفهومية وترميزها، والنحو على هذا تصويري بالأساس، فالمتكلم عندما يستعمل وحدة أو بنية نحوية مخصوصة إنما ينتقي صورة مخصوصة بها يتصد الموقف الحاصل في ذهنه لغايات تواصلية، وباختلاف اللغات من حيث نظمها النحوية تختلف أنماط التصوير

الذي يجريه المتكلمون بها في اقتدائهم بالمواضعة اللغوية لا يعني هذا الاختلاف أن البنية المعجمية والبنية النحوية تفرضان قيودا على العمليات الذهنية، فالبنية اللغوية لا تقيد عمل الذهن، وإن كان لها أثر فيه فهو على غاية من السطحية، فالموارد الرمزية في لغة ما توفر عددا كبيرا من الصور البديلة في وصف مشهد ما، ويمكن في المطلق التحول من الواحد إلى الأخر دون صبر وبسهولة كبيرة.[16]

فتعدد الجمل أوالعبارات يرجع دائما إلى تعدد وتنوع زوايا التصوير المنصبة على الواقع الواحدة دون أن تكون الجملة الواحدة مشتقة من أخرى، مثال:

- **أهدى زيد كتابا إلى عمروا**
- **أهدى زيد عمرا كتابا**

يعتبر "لانقاكر" الجملتين مختلفتي المعنى لأن كل واحدة تتحقق فيها صورة تختلف عن المتحققة في الأخرى.

- فهما صورتان مختلفتان لواقعة واحدة هي الإهداء.
- أ) بعين الحرف "إلى" المسلك الذي أتبعه الكتاب.
- ب) لا وجود "إلى" (عمر + الكتاب) تكون الملكية أبرز المظاهر.[17]

3-النحو والدلالة:

يطلق "لانقاكر" دلالة على كل بناء تصوري يشكل معنا أو مفهوما ممكنا، فالدلالة عنده هي التصور في معناها الواسع، وموضوع علم الدلالة البحث في الأبنية التصورية وتحليلها ورعايتها، ومن نماذج الدراسة في الدلالة الاشتراك الدلالي وهي أخصب المجالات التي يبين فيها المدخل التصوري عن كفاءته، لأن درجة الاشتراك الدلالي تناسب درجة التداول وتمثل شبكة الدلالات المعجمية بعناصرها وعلاقاتها كلا متكاملا، ولكن المكونات فيه متفاوتة من حيث البروز والإفادة العرفانية، ففي كل شبكة يترسخ معنى ليشغل موقع المقولة الطراز، ومن هذاك الطراز تتفرع المعاني الأخرى المنتهية إلى الشبكة تفرعا شعاعيا، كما يذهب إلى ذلك "لايكوف" (1987) فيكون في ضوء ذلك معنى /قطعة من المعدن الكريم دائرية الشكل تجعل في الأصبع طرازا في شبكة (Ring) لكن ذلك لا يمثل عند "لانقاكر" حلا مقبولا من حيث أنه لا يمكن العودة بمعرفة المتكلمين بالمعنى المقترن بوحدة معجمية ما، إلى بنية مفردة واحدة هي الطراز أو أقصى الخطاطات تجريدا –إن كانت – بل تكمن تلك المعرفة في تلك الشبكة من حيث هي كل متكاملا.[18]

لقي المعنى اهتماما واسعا عند "لانقاكر" حيث توصل إلى أنه "لا يمكن تمثيله على أنه حزمة من السمات الدلالية ولا يمكن الإحاطة به باعتماد الأوليات الدلالية. فالأبنية الدلالية

تتعين في علاقتها بمجالات عرفنية، حيث يؤخذ المجال على أنه كل تجربة إدراكية وكل مفهوم أو مركب مفهومي، وكل نظام معرفي قائم، وما إلى ذلك، ومنطلق الوصف الدلالي هوأنه تعبير لغوي يمثل وحدة مركبة يمكن أن تكون ذات مظهر موسوعي، ويعود هذا المنطلق إلى ما تقتضيه المفاهيم أو التصورات من المفاهيم الأخرى في تجليها وتحققها اقتضاء ما قبليا، فالمفاهيم المركبة تنتظمها سلمية بل سلميات من التركب المفهومي مأخوذة في مستوى من المستويات."[19]

في ضوء ذلك تكون العبارات اللغوية صنفين: صنف ذا علاقة بالمجالات الأساسية وصنف ذا علاقة بالمجالات العليا في التنظيم المفهومي:[20]

- فمن الأول ما يرد في أدنى درجات السلمية من التنظيم المفهومي من قبيل "قبل" في الزمان و"أحمر" في الألوان و"عم" في القرابة و"أمام" في المكان و"فرح" في الأحوال.
- ومن الثاني ما تستلزم عناصره مجالات أخرى (من المجالات الأساسية أومن غير الأساسية) لوقوعه في الدرجات العليا من سلمية التنظيم المفهومي من قبيل ' سكين في استدعائها للفضاء من حيث الخصائص الشكلية ولمفهوم القطع والمجالات تساعد في تحديد عدد من الخصائص من قبل الحجم والوزن ومادة الصنع كما يستدعي مجالات أخرى من المتصورات الثقافية والمعارف الاجتماعية كالسلاح وما يرمز إليه أو الأضاحي أو مباريات رمي السكين، وإن كانت هذه المجالات متفاوتة فيما بينها من حيث الأهمية والمواقع قربا وبعدا من المركز أو الأساس.

إن المنجز الخطابي الواحد يستدعي مقتضيات عدة من أجل معرفة ماهية ذلك المنجز (اللفظة) وتدخل في معرفته عمليات ذهنية تصورية كثيرة "فالتصور والتناول الموسوعيان للدلالة –عند لانقاكر- أمران ضروريان، وهو في جميع ذلك مساير "لهايمان" (1980) في اعتبار جميع ما يحصل عندنا من مظاهر تسهم في تكوين ماهية الشيء إنما يفيد وجها من الإفادة وتحديد السلوك اللغوي للعبارة التي تدل على ذلك الشيء والمعارف اللغوية وغير اللغوية كائنة على مدارج والفصل بين ما يفيد منها وما لا يفيد في تشكل العبارة يظل فصلا اعتباطيا."[21]

ومن المبادئ التي أفرزها النحو العرفاني قدرة الانسان على تناول الوضع الواحد بطرق عديدة مختلفة، أي من زوايا مختلفة يتناول منها ذلك الوضع؛ يطلق على تلك القدرة تسمية نمط التناول أو زاوية التناول وتتحدد دلالة العبارة اللغوية بالمضمون التصوري المدلول عليه بها وبزاوية التناول التي يصور من خلالها ذلك المضمون. مثال لفظة حلقة:

-حلقة—— دائرة

-حلقة——جلسة

-حلقة—مسار

-حلقة—جزء من سلسلة

ويقوم مضمون العبارة على مجموعة من المجالات العرفانية والمجالات نوعان أساسية وغير أساسية:[22]

-الأساسية: منها ما مثل أبعاد أساسية في التجربة البشرية لا تقبل الانقسام والتحليل إلى ما هو دونها من قبيل الفضاء (المكان) والزمان واللون والحرارة وما إلى ذلك.

-غير أساسية: منها هو كل مفهوم أو جملة من المعارف مرتبطة بأي مجال من المجالات بصرف النظر عن طبيعتها وعن بساطتها أو درجات تركيبها.

4-أسس نظرية لانقاكر العرفانية وأصولها:

لقد تناولها العديد من المهتمين والمختصين بالشرح والتفصيل فأهم أسس وأصول نظرية النحو العرفاني عند لانقاكر هي:[23]

أ) القدرات الذهنية العامة:

إن تركيب المنجز الكلامي وإنشاءه معالجته يحدث بفضل عدد من القدرات الذهنية العامة التي لا تخص نشاط الإنسان اللغوي فحسب وإنما تهم مختلف الأنشطة التي يقوم بها في كل ميادين المعرفة، وحتى في حياته اليومية، من بين هذه القدرات يمكننا أن نذكر قدرته على إنشاء تصورات منظمة وبنائها، وقدرته أيضا على تصور مستويات متنوعة تختلف في ما بينها من حيث طرق التعبير عن الحالات المتعددة ، وكذلك قدرته على التأليف بين أبنية بسيطة وإقامة علاقات بينها لتكوين أبنية مركبة أكثر تعقيدا، وقدرته أيضا على تنظيم نفس المضمون بطرق مختلفة وهذا ما أوضحه صلاح بن يحي في مقاله نظرية النحو العرفاني.

ب) المجالات العرفانية:

تعد المجالات العرفانية من اساسيات النحو العرفاني، والتي تتم عند استعراض أهم الخاصيات الدلالية لعبارة لغوية ما يكون يربط بمجموعة من الأبنية المعرفية التي نطلق عليها في النحو العرفاني مصطلح (مجال عرفاني)أو(مجال تصوري) فالوحدة المعنوية (كتاب) مثلا تحيل على المجال العرفاني الخاص بالأشياء المادية الملموسة باعتبار أن الكتاب شيء مادي له حجم وشكل ووزن وما إلى ذلك من الخاصيات وعلى مجال الطباعة، ومجال اللغات، ومجال كل ما هو مكتوب، ومجال التعليم ومجال المبادلات التجارية باعتبار أن الكتاب بضاعة لها ثمن وتباع وتشترى إلى غير ذلك من المجالات الممكنة.[24]

ويتبين العلاج الخارج للأبنية اللغوية لا الأبنية الداخلية كما عرفنا ذلك في المستويات اللسانية هذه المجالات العرفانية تسمح بتحديد خصائص العبارات التي تكون جزءا من تصورنا الاصطلاحي لبعض المفاهيم.

ج) الفضاءات الذهنية:

الفضاء الذهني عبارة عن وضعية معقدة إلى حد ما تشتمل على مجموعة من العناصر وعلى علاقات معينة بين تلك العناصر، من بين هذه الفضاءات الذهنية، يمكننا أن نذكر المعتقدات والحالات الشعورية ورغبات المتكلم وتصوره للواقع، كما يمكننا أن نشير إلى بعض الفضاءات التي يمكنها أن تكون بديلة لفضاء الواقع مثل الوضعية التي تعرضها علينا رواية أو مسرحية أو شريط سينمائي ما. وهذه الفضاءات الذهنية المختلفة ليست منفصلة عن بعضها البعض بل كثيرا ما يكون بعضها متفرعا عن بعض، ففضاء النص المكتوب وفضاء النص المنطوق متفرعان عن فضاء النص، ولكن يحق للسائل أن يتساءل عن الفائدة من إثارة مفهوم الفضاءات الذهنية وعن مدى الحاجة إليه في دراسة معاني العبارات اللغوية.[25]

إن المقاربات اللسانية أساسها المعالجة الدلالية كالوحدة الصوتية أو الوحدة الصرفية أو الوحدة النحوية أو الوحدة المعجمية كلها على أساس واحد فهي معالجة دلالية شاملة ولا يمكن اعتبار النحو أو الصرف أو المعجم أو الوحدة الصوتية مكونا منفصلا عن باقي المكونات أو اعتبارها مستويات مختلفة.

"فالنحو العرفني لا يميز بين ما يسميه اللسانيون عادة معنى لغويا ومعنى تداوليا وإنما يعتبر أن المعنى موسوعي أولا ما يكون"[26]؛ حسب ما يؤكده بن غربية في كتابه مدخل إلى النحو العرفاني.

ونلاحظ أن العرفنيين قد انصب اهتمامهم في نظريات تعدد المعنى الفلسفية إلى أبعد الحدود وبشكل مبالغ فيه، والمقولات التي لا يمكن التسليم بها في الوحدات اللغوية على غير ما أخذنا به هذا البحث فإن من المعروف أن المفردات تعدد بتعدد سياقات التراكيب المختلفة (كنظرية النموذج النمطي والدراسات اللغوية)[27]. وهذا ما ذهب اليه كل العرفيين الذين قدموا أعمالا بعد أعمال عالمة النفس "الانور روش ولا يكوف وجونسن وتيرنر وجاكندوف وريث وفوندواز ولانقاكر وغيرهم كثيرون في تحليل المعنى، وتجلياته في مستويات اللغة المختلفة.[28]

وإن تصنيف المقولات الذهنية العرفانية بهذه الطريقة له تبعات خطيرة؛ لأنه يقودنا حتما إلى إعادة النظر في التصنيفات التي ارتضاها النحاة القدامى لوحدات لغاتهم المتنوعة، فالفعل المصدري وأسماء المفعولين التي اعتبرها نحاة اللغات الهند وأوروبية صيغا فعلية غير متصرفة ليست إلا علاقات غير مقرونة بزمان في اعتبار المقاربات العرفانية.[29]

وعن الفعل يرفض "لانقاكر" هذا التمييز خصوصا وأن أصحابه لا يستندون إلى مقاييس تهم الفعل بما هوبه فعل في تمييزهم لما يمكن اعتباره الفعل الرئيسي في التركيب، ويقترح تمييزا أخر يقوم على اعتبار أن العنصر الفعلي الرئيسي هوذاك الذي تتجلى فيه علامات ربط العلاقة الزمانية بحدث الخطاب.[30]

وإذا تأملنا النحو العرفاني الذي دعا إليه "رولاند لانقاكر" هو النحو العرفاني الجديد الفرنسي، وإذا أردنا البحث في النحو العربي من مبادئ أرادها "رولاند لانقاكر" في النحو العرفاني وجدناها مماثلة لما كان يدعو إليه علماء العربية من الاسم والتركيب الاسمي، في عملتي التسوير، وعملية الترسيم وبعدها يمكن العودة إلى عملية الإرساء[31]أو الإسناد والعلاقة الإسنادية وبين بإسهاب في حديثه عن بنية الفعل الدلالية كما بينها "ابن جني" في مسألة الدلالات النحوية فيقول "ابن جني": "اعلم أنّ كل واحد من هذه الدلائل معتد مراعي مؤثر، إلا أنها في القوة والضعف على ثلاث مراتب فأقواهن الدلالة اللفظية، ثم تليها الصناعية ثم تليها المعنوية ولنذكر من ذلك ما يصح به الغرض، فمنه جميع الأفعال ففي كل واحد منها الأدلة الثلاثة، ألا ترى إلى (قام) و(دلالة لفظه على مصدره) ودلالة بنائه على زمانه، ودلالة معناه على فاعله، فهذه ثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه وإنما كانت الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قبل أنها وإن لم تكن لفظا فإنها صورة يحملها اللفظ ويخرج عليها ويستقر على المثال المعتزم بها، فلما كانت كذلك لحقت بحكمه وجرت مجرى اللفظ المنطوق به، فدخلا بذلك في باب المعلوم المشاهدة، وأما المعنى فإنما دلالته لاحقة بعلوم الاستدلال وليست في حيز الضرورات، ألا ترى حين تسمع (ضرب) قد عرفت حدثه، وزمانه ثم تنظر في ما بعد فتقول هذا فعل ولابد من فاعل[32]، ويقول "السيوطي": "الدلالات النحوية ثلاث، لفظية، وصناعية، ومعنوية قال في الخصائص هي في القوة على هذا الترتيب قال: وإنما كانت الصناعية أقوى من المعنوية من قبل أنها وإن لم تكن لفظا فإنها صورة يحملها اللفظ"[33] إذن تتبين بنية الفعل في ثلاث دلالات أي ثلاث أبنية، فالفعل (عبر) يحمل ثلاث دلالات دلالة اللفظ (دلالة على مصدره، وهي دلالته على الحدث)، ودلالة صناعية (دلالة بنائه على زمانه: أي دلالته التصريفية البنائية) ودلالة معنوية (أي دلالة معناه على فاعله، وهي دلالته النحوي المصدرية (الحدث) الزمانية(التصريفية) الفاعلية (النحوية) لأنه لا يوجد فعل بدون فاعل، ويركز النحو العرفاني على رأس المركب الفعلي في الجملة على ثلاث أبنية(الزمن والجهة والحدث)، هذا التحليل الذي يقترحه النحو العرفاني بديلا للتحيل التقليدي له أساس دلالي متين، لأن الزمن والجهة هما العنصران اللذان يربطان الحدث الذي تعبر عنه الجملة بصفة مخصوصة بالنقطة المرجع أعني حدث الخطاب، فالزمن يضع الحدث المتصور في حيز معين باعتبار زمان التلفظ بينما

يمثل التعبير عن الجهة موقف المشاركين منه في عملية الخطاب، وما إذا كانوا يتبنون العلاقة كما هي أو يعبرون عن بعض الاحترازات والتحفظات بإزائها.[34] ويتحدث "رولاند لانقاكر" عن توالي الأفعال في الجملة الفعلية الواحدة من قبيل باب (الاشتغال والتنازع في النحو العربي) في الجملة الفعلية التي تتضمن فعلين أو أكثر ويفسر "لانقاكر" هذا في النحو العرفاني بالفعل الرئيسي تصاحبه أفعال مساعدة وكما يقسم الأفعال إلى أفعال بسيطة نحو: عبر وحضر، وقتل وأفعال مركبة نحو: استحضر، وتقاتل، وأما عن الفعل الرئيسي والأفعال المساعدة في نحو قوله تعالى: ﴿آتُوني أفرِغْ عَلَيْهِ قَطْرا﴾[35]

فالفعل الرئيسي يسميه "لانقاكر" الفعل المعبر عن المضمون وقد يكون بسيطا أو مركبا، والأفعال المساعدة تمثل التنظيم الخاص لذلك المضمون، وما وقع اعتباره رئيسيا غير الفعل الرئيسي لا يمثل شيئا أخر غير مضمون المركب الفعلي.

فالفعل (آتوني) فعل رئيسي، حيث يمثل الفعل المعبر عن المضمون بسيطا أو مركبا، (ويمثل المضمون الفعلي الجملي، وإليه تنسب الجملة الفعلية) والفعل (أفرغ) فعل مساعد من الأفعال المساعدة، بحيث يمثل التنظيم الخاص لذلك المضمون، وكذلك الحال نفسه في جملة أخذ يعبد حقائبه وأما عناية "لانقاكر" بالفعل الرئيسي واهتمامه به فيقترح تسميته بـ (الفعل المعجمي) الرئيسي.

كما يقول "لانقاكر": مثل هذه الوضعية نجده مع الفعل عندما يكون رأس الجملة الفعلية متكونا من فعل رئيسي ومن أفعال مساعدة ففي الجملة Elle peut avoir lavé sa voiture hier soirترجمتها (ربما تكون قد غسلت سيارتها في المساء)يمثل الجذر lave المضمون المعجمي الرئيسي، وما تبقى من المكونات –peut avoir- التنظيم الخاص لذلك المضمون ما إلى ذلك ككل مركب اسمي، إلا أنه يمكننا دون أي اعتبار لبساطته أو تركيبه أن تنظر إليه باعتباره وحدة تتألف مع باقي المكونات، أي مع الأفعال المساعدة التي تتمثل وظيفتها في تنظيم المضمون وتشكيله مجتمعة[36]. وتعتبر هذه العملية ككل في بناء الجملة الفعلية تسمى عملية التسوير للبنية المرسومة الحاملة للعلامات التي تربط الحدث بعملية الخطاب داخل المركب الاسنادي ويسميه "لانقاكر" الفعل المرسوم.

د) الجملة المركبة في النحو العرفاني:

تعتمد الجملة المركبة في النحو العرفاني على تمثلات مركبة ضمن خطتان رئيستان وهما الفصل والوصل أما الفصل يكون بوضع التمثلات البسيطة الواحدة تلوى الأخرى، وأما الثانية الوصل فتتمثل في الربط بين التمثلات بأداة من الأدوات، وبذلك يعتبر العطف والاستئناف

وسيلة بسيطة من الوسائل التي تسمح بتكوين تمثلات مركبة، وتبقى قضية التمييز بين العطف والتعليق قائمة خاصة أمام التركيب والمعطيات التي يقرها الاستعمال اللغوي.

خاتمة:

أصفرت هذه الدراسة على النتائج التالية:

1) النحو العرفاني ثورة وحركة تمرد ضد نظريات لسانية، أفقدت مادة الدراسات اللغوية جزءا كبيرا من الثراء الذي تتسم به ملكة اللغة وشوهت عددا كبيرا من الظواهر اللغوية التي وصفتها.

2) إن القضية المطروحة على الدارسين لم تعد مركزة على تصورنا للنحو وللنظرية النحوية وإنما أصبحت تتعلق بتصور العمليات الذهنية التي تؤسس الأبنية والتراكيب النحوية.

3) إن العمليات الذهنية في رأي العرفانيين عمليات منتظمة مطردة، وبذلك فقدت القواعد بأنواعها وأشكالها المختلفة منزلتها وقيمتها وأصبح الأساس كائنا في التمييز بين جهاز من العمليات.

4) أصبح النحو مع العرفانيين عبارة عن تحليل، ودراسة للعلاقات القائمة بين مجموعة من الأصوات المتعالقة والدلالات المسندة إليها.

5) لا يختلف المهتمون بالمجال اللغوي في كون المعجم والنحو يشكلان تعاقبا منطقيا واسترسالا طبيعيا من الوحدات الرمزية

6) الدلالة هي التصور في معناها الواسع، وموضوع علم الدلالة البحث في الأبنية التصورية وتحليلها ورعايتها، ومن نماذج الدراسة في الدلالة الاشتراك الدلالي وهي أخصب المجالات التي يبين فيها المدخل التصوري عن كفاءته.

7) إن العناية القائمة منذ القديم بالأبنية النحوية جعلت العديد من اللسانيين يعيدون النظر في علاقة تفاعل الأبنية النحوية بالأبنية اللسانية الأخرى منها الأبنية الصوتية والصرفية والدلالية التي أهملت بسبب التركيز المبالغ فيه على الأبنية النحوية، وهي لا تقل تأثير ايجابيا عن تأثير الأبنية النحوية في الأبنية اللسانية العامة ككل.

8) ظهور النحو العرفاني كرة فعل على هيمنة المركزية للتركيب على الأبنية اللغوية الأخرى.

9) النحو العرفاني نظرية دلالية شاملة.

التهميش:

[1] ينظر: الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفانية، الدار العربية للعلوم ناشرون، تونس، ط1، 2009، ص 97.

[2] المرجع نفسه، ص 98، 99.

[3] قريرة توفيق، الاسم والاسمية والأسماء في اللغة العربية، مقاربة نحوية عرفنية، مكتبة قرطاج للنشر والتوزيع، صفاقص، تونس، ط1، 2011، ص 19.

[4] صلاح الدين يحي، نظرية النحو العرفاني مستوى الثالوث من الأبنية، ذات التكون الجيد (الدلالة، التركيب، المعجم)، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، الجزائر، المجلد 04، ع 02، 2020، ص 76.

[5] عبد الجبار بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، نظرية رونالد لانقاكر، مكتبة لسان العرب، تونس، ط1، 2010، ص 29.

[6] بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، ص 09.

[7] صلاح بن يحيى، نظرية النحو العرفاني مستوى الثالوث من الأبنية، ذات التكون الجيد (الدلالة، التركيب، المعجم)، ص 79.

[8] ينظر بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، ص 30.

[*] يستعمل بن غريبة مصطلح العرفاني، أما لزهر الزناد مصطلح العرفني، وهما من نفس البلد (تونس).

[9] بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، ص 30.

[10] الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفانية، ص 99.

[11] صلاح بن يحيى، نظرية النحو العرفاني مستوى الثالوث من الأبنية، ذات التكون الجيد (الدلالة، التركيب، المعجم)، ص 82.

[12] المرجع نفسه، ص 88.

[13] المرجع نفسه، ص89.

[14] ذهبية حمو الحاج، مقدمة في اللسانيات المعرفية، مجلة تحليل الخطاب منشورات مخبر تحليل الخطاب، تيزي وزو، الجزائر، 2013، ص 27.

[15] لمزيد من الشرح التوضيح، ينظر بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، ص 28 وما يلها.

[16] الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفانية، ص 100.

[17] المرجع نفسه، ص101.

[18] المرجع نفسه، ص 102، 103.

[19] لمزيد من الاطلاع ينظر: بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، ص 40.

[20] صلاح بن يحيى، نظرية النحو العرفاني مستوى الثالوث من الأبنية، ذات التكون الجيد (الدلالة، التركيب، المعجم)، ص90

[21] المرجع نفسه، ص91.

[22] المرجع نفسه، ص91.

[23] المرجع نفسه، ص135 وما يلها.

[24] بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، ص39، 40.

[25] المرجع نفسه، ص41.

[26] المرجع نفسه، ص46.

[27] المرجع نفسه، ص72.
[28] صلاح بن يحي، نظرية النحو العرفاني مستوى الثالوث من الأبنية، ذات التكون الجيد (الدلالة، التركيب، المعجم)، ص142.
[29] بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، ص86.
[30] المرجع نفسه، ص101.
[31] المرجع نفسه، ص101.
[32] ابن جني، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة. دط، 1952، ج3، ص 98.
[33] السيوطي، الاتقان في عاوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة. دط، 2006، ص 42، 43.
[34] بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، ص 105.
[35] سورة الكهف، الآية 96.
[36] بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، ص106.

قائمة المصادر المراجع:

1. ابن جني، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة. دط، 1952.
2. الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفانية، الدار العربية للعلوم ناشرون، تونس. ط1، 2009.
3. ذهبية حمو الحاج، مقدمة في اللسانيات المعرفية، مجلة تحليل الخطاب منشورات مخبر تحليل الخطاب، تيزي وزو، الجزائر، 2013.
4. السيوطي، الاتقان في عاوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة. دط، 2006.
5. صلاح الدين يحي، نظرية النحو العرفاني مستوى الثالوث من الأبنية، ذات التكون الجيد (الدلالة، التركيب، المعجم)، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، الجزائر. المجلد 04، ع 02، 2020.
6. عبد الجبار بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، نظرية رونالد لانقاكر، مكتبة لسان العرب، تونس. ط1، 2010.
7. قريرة توفيق، الاسم والاسمية والأسماء في اللغة العربية، مقاربة نحوية عرفنية، مكتبة قرطاج للنشر والتوزيع، صفاقص، تونس. ط1، 2011.